مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

الليبراليّة التهكميّة في فكر ريتشارد رورتي

الدكتور محمد فرحة*

هبه محمد ملاح**

(تاريخ الإيداع 13 / 11 / 2017. قبل للنشر في 20 / 3 / 2018)

□ ملخّص □

يُناقش هذا البحث الليبراليّة التهكميّة وطبيعتها البراغماتيّة في فلسفة ريتشارد رورتي، انطلاقاً من تحديد آليّة العلاقة بين الليبراليّة و التهكميّة، وإعادة التفكير ما بعد الحداثويّ في الليبراليّة وتوضُّعاتها على الصعيد الفلسفي والسياسي، وذلك من خلال الوقوف على التصوّر الحديث للدين عند رورتي، الذّي يُعتبر أهمّ قفزة أحدثها فيلسوفنا في عالمنا المعاصر، وما لها من أثرٍ مميّزٍ في فلسفته النيوبراغماتيّة المتأثرة بفلسفة جون ديوي، والتّي دأبت على نقل الفكر الفلسفي والديني إلى عالمنا الواقعي، ومحاولةً استدعاء أفكارنا اليوتوبيّة واستقطاب نفعيّتها، انطلاقاً من سياسة الاهتمام بمعاناة البشر وآلامهم، ومتخطيّةً كلّ النظريّات الدينيّة والليبراليّة التقليديّة القديمة .

كما يهدف هذا البحث إلى إيضاح معنى اليوتوبيا الاجتماعية عند رورتي، ودورها وتجسيدها أيضاً من خلال محاكاة الذات الشعريّة في المجتمع الأمريكي، والانتقال من المفردات النهائيّة إلى أخرى مفتوحة ولا نهائيّة، محاولةً تسليط الضوء على التجاوز الفلسفي– السياسي، الذي قدّمه رورتي من خلال الفلسفة النيوبراغماتيّة، حتّى نتمكّن من الوصول إلى ما يُعرف بالحوار أو المناقشة بين الأفراد، أي إمكانيّة الوقوف على أعتاب مجتمع محادثاتي، يقوم على أساس التوازن والتضامن الاجتماعيبين الأنا والآخر.

الكلمات المفتاحيّة:التهكميّة – المفردات النهائيّة – اليوتوبيا الاجتماعيّة – خلق الذّات.

* أستاذ– قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

** طالب دراسات عليا (ماجستير) – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

Ironist liberalism in thoughts Richard Rorty

Dr. Mohammad Farha[*]
Heba Mallah[**]

(Received 13 / 11 / 2017. Accepted 20 / 3 / 2018)

□ ABSTRACT □

This paper deals the term of ironist liberalism in its pragmatic nature in Richard Rorty philosophy, Based from the definition of the nature of the relationship between liberalism and ironist, In rethinking post modernism in liberty and their positions on the philosophical and political level, By standing on modern perception of religion Rorty,Which is considered the most important leap forward Rorty in our contemporary world, With its distinctive effect in his new pragmatism philosophy, That affected with the philosophy of John Dewey, Which has consistently referred to the overall philosophical and religious ideas to the our real world, and try to call our utopian ideas and attracting its usefulness our real world, Based on the policy of caring for the suffering of human beings and their pains. Beyond all traditional liberal and religious theories.

This research also aims at clarifying the meaning of social utopian at Rorty, and its role and embodiment by simulating the poetic subject in American society, and transition from final worlds to the infinite worlds, trying to shed light on this political- philosophical transgression, Which Rorty introduced to new pragmatic philosophy, so that we can reach what is known as dialogue on the threshold of my community of talks. Based on the balance and social solidarity between the ego and the other.

Key words: ironist, final words, social utopian, self-creation.

[*]**Assistant Professor - Dept. of Philosophy - Faculty of Arts Humanities - Tishreen University – Lattakia - Syria.**
**** Postgraduate Student (Master)- Dept. of Philosophy - Faculty of Arts Humanities - Tishreen University – Lattakia - Syria.**

مقدمة:

يُنظر إلى الليبراليّة على أنّه مفهوم مُعاصر، ولكن تتبُّع جذور هذا المفهوم يُحيلنا إلى جون لوك بوصفه ممثِّلاً لليبراليّة الإنكليزية، أمّا التهكميّة فهي منهج يوناني، امتاز به سقراط وتلقفّهُ رورتي بوصفه ممثِّلاً خُلاصة الفكر الأنغلوساكسوني، إذ اكتسب على يده معنىً براغماتيّاً جديداً ومغايراً لما كان عند سابقيه، ويدور محور هذا التغيُّر بالسمة التهكميّة، التّي تتلوّن بين السخرية تارةً وبين الهدم والبناء تارةً أخرى.

هنا تُعدُّ العلاقة بين الليبراليّة والتهكميّة علاقة نيو براغماتية رورتيّة، خاصّةً وقد تنبّه رورتي لعدم صلاحيّة الفهم السطحي لليبراليّة المنغلق ضمن إطار الحريّة، والذّي يجعل الذّات تلهث وراءها محاولةً اقتناصها والتمكُّن منها، وهذا ما ترافق مع ظهور رورتي وغيره من الفلاسفة المعاصرين أمثال فوكو وليوتار، والذّين جاءت فلسفاتهم أيضاً متناغمة مع عصر ما بعد الحداثة، هذا العصر الذّي اكتنفه حالة من إنهاء السرديّات الكبرى والحقائق المطلقة وهدم العوالم الميتافيزيقيّة واليقينيّات الثابتة المتمثِّلة بالأديان وغيرها، فما هو دور الذّات الليبراليّة التهكميّة عند رورتي، وما أهميّة الحديث عنها في المجتمع الأمريكي؟

لقد تمكّن رورتي عبر محاولته النيو براغماتيّة من تفكيك الدّين المسيحي التقليدي، وذلك من خلال هدم المبادئ الدينيّة القديمة وكسر حاجز العقائد الموروثة، الأمر الذّي ساهم في ولادة تصوّر حديث للدين في المجتمع الليبرالي الأمريكي، ينظر للدين باعتباره مسألةً شخصيّةً تخصُّ الفرد وحده، ويمكن أن نعتبر مثل هذا التصوّر نقطة انطلاق في فلسفته، تجاوز من خلاله كل ما هو سطحي ومألوف، محاولاً إعادة تشكيلِ مجتمعٍ ليبراليٍّ بعيدٍعن القوالب الدينيّة أو السياسيّة الجاهزة.

وقد قدمّت البراغماتيّة الكلاسيكيّة منهجاً سياسيّاً،أحلّ من خلاله جون ديوي الحرية الدينيّة، ليظهر رورتي،وهو ينتمي للجيل الثاني من البراغماتييّن متحدثّاً بلغة المصطلحات الجديدة ما بعد الحداثيّة، إذ ينطلق من ضرورة استحضارها واستقطاب نفعيّتها في العالم الواقعي، وبمعنى آخر اهتمّ رورتي بالليبراليّة بمنظور نيو براغماتي ملائم لروح العصرأولاً وتجاوزه للدين التقليدي ثانياً.

لقد كان رورتي حريصاً على اتجاهه النيو براغماتي، والذّي يُبرِّر بدوره الأفكار التّي من الممكن استدعاءها لمصلحة المجتمع الأمريكي، وإذا كان فعلاً قد تميزَّ بفلسفة نيو براغماتية، فكيف تجلّت فلسفته من خلال الليبراليّة التهكميّة؟ وما هي صفات السياسي المتهكّم الليبرالي؟ وما هو التجديد الذّي حققّه رورتي بالنسبة لليبراليّة؟ وكيف تظهر العلاقة النفعيّة بين الليبراليّة والتهكميّة؟

إنّ فكرة الليبراليّة التهكميّة كانت حافزاً أساسيّاً عند رورتي للعبور من عالم الفلسفة إلى عالم السياسة، وتأتي أهميّة هذا الانتقال لأنّه ورد من قِبَل فيلسوفٍ وظّفَ الدين والفلسفة أيضاً في خدمة سياسته الليبراليّة، ومن هنا سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في سياق ورقتنا البحثيّة، علّنا نستطيع تقديم توضيح مقبول حول مصطلح الليبراليّة التهكميّة عند رورتي، خاصّةً بعد زعزعة الدين التقليدي وهزِّ أركانه الثابتة.

أهميّة البحث وأهدافه

تنبع أهميّة هذا البحث ممّا يأتي:

- الاهتمام بموضوع الليبراليّة التهكميّة وقراءته قراءة معاصرة، فهو موضوع قديم في طرحه وجديد في طريقة معالجته عند الفلاسفة المعاصرين.

- التركيز على طبيعة العلاقة بين الليبراليّة والتهكميّة بعد تفكيك الدين المسيحي وإعادة تشكيل بنية الذّات الليبراليّة المتجددة باستمرار.

أما أهداف هذا البحث فهي إلقاء الضوء على أهميّة البعد السياسي الذّي وضعه رورتي في المقام الأول قبل الدين والفلسفة. إضافةً إلى الإشارة لموضوع جديد لم ينل حتّى اليوم صدىً واسعاً في عالمنا العربي، وذلك لعدم وجود ترجمات باللغة العربية عن الفيلسوف ريتشارد رورتي.

منهجيّة البحث

لقد تمّ استخدام المنهجين الهرمونطيقي والتحليلي، بما يتناسبان مع موضوع البحث، حيث يسعى الأول إلى تأويل النص الرورتي حسب الفترة الزمنية التي أنتج وأعدنا قراءته فيها، بينما نسعى من خلال الثاني إلى فهم مضمون فلسفة رورتي النيو براغماتيّة، وخاصّةً فكره الليبرالي واعتباره البنية البديلة عن البنية الدينيّة.

- الدلالة النيو براغماتيّة لليبراليّة التهكميّة:

يُعدُّ الوقوف على المعنى البراغماتي لهذا المصطلح، الذّي نرغب في دراسته أمراً هامّاً، لذلك كان من الضروري تعريفه وتوضيحه، حتّى يصبح بين أيدينا تعريفاً شاملاً عنه، خاصّةً وهو مؤلّفٌ من مقطعين سبق وأن استُخدما بمعاني مختلفة عن المعنى الذّي قدّمهُ رورتي، فقد استخدمه هذا الفيلسوف استخداماً براغماتيّاً معاصراً، وكان من الصعب علينا إيجاد تعريف محدّد له في القواميس العربيّة، ولهذا السبب سنحاول استنتاج دلالته ليس من لغته الأصليّة فحسب، وإنّما نستخلصه من السياق الفلسفي البراغماتي الذّي انتهجه رورتي.

والليبراليّة التهكميّةIronist Liberalism، هي مصطلح مؤلّف من مقطعين، الأول Liberalism وهو مذهب الحرية، والثاني Ironistوهي التهكميّة، إذ يربط رورتي مصطلح سياسيّاً كالليبراليّة يعود بجذوره إلى لوك في القرن السابع عشر، بمفهوم فلسفي كالتهكّم،يلجأ إليه بوصفه مبدأً براغماتيّاً يسخر ويُدمِّر من خلاله كل الكيانات الثابتة، و يأتي الكيان الديني كأحد أهمّ الكيانات التّي صفعها التهكّم الرورتي من أجل تحقيق مشروعه الليبرالي الإصلاحيّ.

وإنّ نجاح هذا المشروع عند رورتي، يبقى مرهوناً بآليّة التفكيك البراغماتيّة التّي استهدفت الدين التقليدي، والتّي مهّدت بدورها للوصول إلى دين حديث يُسخِّر ذاته في إصلاح الليبراليّة، ويجعلها أكثر تناغماً مع روح العصر ما بعد الحداثويّ بعد زعزعة آليّات الإيمان المسيحي، ومن ثمّ الانتقال إلى دين سياسي قائم على التضامن الاجتماعي والتعدديّة الديمقراطيّة، وغالباً ما تتجلّى هذه الدلالة البراغماتيّة في انزياح المحطات الراسخة في حياتنا سواء أكانت هذه المحطّات متعلّقة بالعقائد الدينيّة أو مرتبطة بقضايا الطبيعة والكون والوجود التّي شغلت اهتمام الفلاسفة، ولكن الفكر النيو براغماتي الليبرالي الذّي تميّز به رورتي، جعله يتجاوز هذه القضايا،ليقول:" نحن الليبراليوّن لا نُجادل الحداثة الأوروبيّة في قضايا الأبديّة أو الواقعيّة التاريخيّة"[1].

ولهذا فالطابع التهكميّ الذّي امتزجت به ليبراليّة رورتي مكّنه من تجاوز كل ما هو مألوف وشائع، إذ وجّه رورتي جُلَّ اهتمامه البراغماتي لفضِّ مصطلح الليبراليّة التهكميّة، وعرقّها بأنّها " تجنُّب القسوة"[2]. ويقول أيضاً:"السياسة الليبراليّة هي مسألة براغماتيّة عمليّة على المدى القصير وحلول توفيقيّة، وهي شيءٌ يتمُّ التداول حوله في مصطلحات مألوفة "[3].

لقد نحت رورتي هذا المصطلح بوصفه مزيجاً بين الليبراليّة السياسيّة والشكّ ما بعد الحداثيّ، من أجل هدف أساسي وأصيل، وهو التخفيف من ألم ومعاناة البشر في سبيل تحقيق التقدُّم الأخلاقي للشعب الأمريكي، خاصّةً بعد أن تهكَّمَ رورتي من فكرة الدين التقليدي وفكّك مفهوم الخطيئة المسيحيّة باعتبارها أحد أهم ركائز هذا الدين، فالإنسان ليس كائن شرير ومخطئ

1 ALLAN Malachowski, Richard Rorty,*philosophy Now*, Acumen,2002, p 135.
[2]Ibid 135.
[3]GIANNIVattimo،*Anethicsfortoday* ،*RichardRorty*،Columbiauniversitypress،NewYork 2008،p15

بطبعه، وإنّما هو ضحيّة للشرّ الموجود في العالم، وقد تلقَّفَ رورتي هذه الفكرة عن بول تيليتش، الذّي أكدّ على اغتراب الذّات عن عالمها ومحيطها.

وتبدو القدرة على التقليل من إذلال الأفراد، هي الدليل الهرمونطيقي عند رورتي على إعادة وصف وتضخيم الروابط الاجتماعيّة، فالشعور بالتضامن هو الشعور الذّي يلجأ إليه الفرد المُهدَّد بالقسوة والمُعاناة، وما مصلحة المجتمع إلّا تحصيل حاصل لمصلحة الأفراد، بل إنّ غايتهُ البراغماتيّة تتحقّق فعلاً إذا ما أشبع الفرد مصالحه الشخصيّة. فالمنفعة الخاصّة تندرج ضمن إطار المنفعة العامّة، فيقول: " نحن تهكميّن ليبراليّين، نحن براغماتيّين، نحن لا ما هوبيّن "[1].

أمّا مهمّة السلطة في المجتمع الليبراليّ الذّي رسمه رورتي، فتظهر في صورة تأمين وضمان السعادة لأفراده من جهة، والحرص على تحقيق الانسجام بين مصالح الأفراد والآخرين من جهة أخرى، فالليبراليّة هي الضامن الأفضل للسعادة وبالتالي يجب متابعتها والاهتمام بها، خاصّةً بعد أن أفقد رورتي الدين المسيحي بريقه بوصفه حافظاً للسعادة الإنسانيّة، نراه يواجه الخطر الديني بسياسة ليبراليّة تهكميّة، هي تعدُّديّةٌ واسعةٌ تمتدُّ إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع. لأنّ " الحقل الدينيّ كما حدّدته التقاليد ينكمش، وما يفقده جوهره الخاص يتكوّن في مكان آخر، ... كشاكلات مقدسّة وكأشكال تديُّن... وقواه تنفذ إلى الأمام أكثر في أحدهما (السياسيّ) وتجبر الآخر على الانكفاء(الدينيّ).وعلى هذا المظهر تعتمد الأطروحة المزدوجة للعلمنة التّي تُحرِّر من الخضوع للقوى المُتعالية الخارجيّة – وللاستقلال الذّاتي المُتزايد – الذّي يجعل من الانسان منتج عالمه وذاته "[2].

لذلك كان من الصعب وضع مصطلح الليبراليّة التهكميّة ضمن إطار تعريف مُحدّد، فهو مصطلحٌ مُركّبُ عصيٌ على الفهم، فتارةً نراه بوصفه نزعةً فرديّةً تنادي بالحرية الضائعة، وتارةً تنتظم الليبراليّة ضمن إطار الدولة، أمّا عند ريتشارد رورتي فهي ليبراليّةٌ تهكميّةٌ مجتمعيّةٌ مُكرسّةٌ لخدمة المجتمع وليس العكس، وعلى السلطة والحكومة أن تتوجهّا نحو تحقيق طموحات وأهداف أفراده.

لهذا جاءت ليبراليّة رورتي في منحى براغماتي مختلف عن الأوصاف السابقة التي تجلّت من خلالها الليبراليّة، لأنّ المجتمع الليبراليّ الموصوف بالتهكميّة من قبله، سيقف وجهاً لوجه أمام كل المعتقدات والحقائق المطلقة،إذ لا يمكن للتصوّر البراغماتيّ القائم على تجاوز سطحيّة الدين التقليدي أن يكون له معنى، إذا لم تتغيّر بنية المجتمع الأمريكي من الداخل.

بمعنى آخر، كيف يمكن الحديث عن ليبراليّة تهكميّة معاصرة، والمجتمع غارق في متاهات التفاسير الانجيليّة ووساطة القديسينوانغلاق النصوصالحرفيّة إضافةً إلى طغيان الحركات التأسيسيّة (الأصوليّة)* ، لذا كان من الضروري تهيئة الظروف اللوجستيّة السوسيو– اجتماعيّة لتقبُّل ومن ثمّ تطبيق مثل هذه المصطلحات البراغماتيّة المركبّة في العالم الواقعي.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ الليبراليّة التهكميّة جاءت بوصفها بنيةً براغماتيّةً معالجةً وبديلةً للعقائد الدينيّة والايديولوجيّات المختلفة، ولكن ما هي المقومات السليمة التّي يقترحها رورتي لهذه البنية البديلة (الليبراليّة التهكميّة الاجتماعيّة)؟ ولقد حاولنا أن نحيط بهذا المصطلح قدر الإمكان لتكون بمثابة فكرة جديدة وغير متداولة في الأوساط العربيّة حتّى اليوم، قدّمها رورتي حول طبيعة المجتمع الأمريكي والمستقبل المنشود له.

- اليوتوبيا الليبراليّة الاجتماعيّة:

[1]CHARLES Guignon، DAVID R. Hiley, *Richard Rorty, contemporary philosophy*, Focus,Cambridge،2003, Daniel Dennett,2003، p 139 .

[2]بالا نديه، جورج، *في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين*، ترجمة محمد حسن إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة، الجمهوريّة العربيّة السوريّة، 2000، ص222.

***الحركات التأسيسيّة هي التّي ظهرت مع مطلع القرن العشرين، وتنادي بمعصوميّة الكتاب المقدّس.**

استطاع ريتشارد رورتي من خلال كتابه المعنون Contingency, Irony, andSolidarity أن يرسم صورة المجتمع الليبراليّ الأمريكي، عبر تجسيد اليوتوبيا الليبراليّة في الواقع الاجتماعيّ، واعتبار هذه اليوتوبيا من المقومات السليمة لتأسيس هذه البنية البديلة عن البنية الدينيّة، والمقصود البنية الليبراليّة التهكميّة.

إنّ اليوتوبيا عند رورتي ليست سياسة نظريّة في عالم المُثل الميتافيزيقي كما تراءت لنا في جمهوريّة أفلاطون، وإنّما هي سياسة عمليّة لا حالمة ولا كائنة في الماوراء، إنّها مرتبطة ومنجذبة بقوة للواقع العملي كما أراد لها رورتي أن تكون.وتبقى العلاقة أو الصلة بين اليوتوبيا الليبراليّة والواقع السياسيّ الاجتماعيّ، من الأفكار التّي تحظى منّا بالكثير من التساؤلات، خاصّةًوقد اعتدنا على فهم كلّما هو يوتوبي بأنّه خياليٌ محضٌ ولا يمُتُّ إلى الواقع بصلة. ولكن يبقى السؤال كيف يمكن أن تتشكّل مثل هذه العلاقة؟

ينقل رورتي اليوتوبيا إلى عالمنا حتّى تكون صادقة، لأنّها تبقى في العالم الماورائي (الميتافيزيقي) مجرّد فكرة غير مُحققّة فعليّاً، وعندما يتمّ الإرجاع الرورتي بلغة براغماتيّة إلى العالم الواقعي، فإنّها تتجلّى في أبهى صورها، في عمقها وأقصى درجات نفعيّتها.

بمعنى آخر، تتحوّل اليوتوبيا من سياسة نظريّة لا طائل منها ولا تطبيق فعليّ لها إلى سياسة عمليّة، من أجل تحقيق غاية سامية تتمثّل في تحقيق سعادة الأفراد في المستقبل، والتخفيف من وطأة آلامهم " الليبراليّون لديهم عيون على احتماليّة مستقبل أفضل "[1].

وقد استمدّ رورتي الحاجة إلى الطاقات الخياليّة من صميم المجتمع ذاته، عندما شهد مجتمع ما بعد الحداثة احتكاكاً مباشراً بالنماذج الشعريّة، بعد أن تمكّن من تحرير ذاته من قبضة العقل الحداثويّ، إذ وصل الاتجاه اليوتوبي الخيالي ذروته أولّاً مع شيلنغ*، الذّي نظر إلى الخيال بوصفه مؤلهّاً، و مرّةً عند تيليتش* الذّي استبدل الدّين بالشعر ورجل الدّين بالشاعر، و في محاولةٍ أخرى يُشجّع سانتيانا* على استخدام اليوتوبيا أيضاًومحاكاة النموذج الشعريّ في المجتمع، إذ يقول " الخيال الشعريّ أفضل منهج للأفكار، الدين و الشعر متطابقان في الجوهر، و الشعر هو منتج الخيال "[2].

لقد سخّرَ رورتي كلّ المحاولات السابقة في ترجيح اليوتوبيا والخيال الشعريّ على شطط الدين والعقل الحداثيّ، وعزّز الاستبدال التيليتشي بين الشعر والدين، كي يُحقّق صورة المجتمع المتماسكة، وأخذ يستلهم في كتابه Achieving Our Countryنموذجين هما: جون ديوي (السياسيّ) ووايتمان (الشاعر)،الأول يُجسّد صورة الليبرالي الديمقراطي، والثاني يُجسّد اليوتوبي الخيالي، وهكذا "سيقوم الشعراء بملء الشواغر التّي تركها الكهنة"[3].

وإنّ استدعاء النموذج الشعريّ في المجتمع، هو إشارة واضحة على تخطّي سياسة الدين، و الوصول إلى ما يُدعى باليوتوبيا الاجتماعيّة، وهذه القوة الخياليّة الجامحة هي اليوتوبيا بحدّ ذاتها، فالشعر والأدب ما بعد الحداثيّ من المجالات المُتاحة للعمل والتفكير السياسيّ الناجح، ومن ثمّ إمكانيّة تحقيق الوجود الإنساني، فكل فرد يحمل في أعماقه أفكاراً خياليّةً يوتوبيّةً، ومن الممكن بالنسبة لرورتي ربط هذه الأفكار الفلسفيّة بالمجتمع الليبراليّ، الذّي اكتسب معه أفقاً براغماتيّاً جديداً، ويبقى مشروطاً بذاتٍ ليبراليّةٍ تهكميّةٍ لا دينيّةٍ ولا عقلانيّةٍ، تعيش على أرض الواقع وليس في عالمٍ ميتافيزيقيٍّ، فهو كائنٌ مثاليٌّ في العالم الواقعي و ليس في عالم ما ورائي.

---

[1]ALLAN Malachowski ،*RichardRorty* ،*PhilosophyNow*، P 139.

*فريدريك شيلنغ (1775-1854) فيلسوف ألماني اهتمّ بفلسفة الطبيعة والأسطورة.

*بول تيليتش (1886-1965) فيلسوف ألماني المولد أمريكي المواطنة، ينتمي إلى الفلسفة الوجودية المؤمنة.

*جورج سانتيانا (1863-1952) فيلسوف وكاتب أمريكي براغماتي من أهمّ كتبه عالم الوجود.

[2]GIANNI Vattimo,*AnethicsfortodayRichardRorty*، p 33-34.

[3]HowRichardRortyfoundreligion ،JasonBoffetti

<<https://www.firstthings.com/article/05/2004/How-Richard-Rorty-Found-religion،p8 .

وانطلاقاً من تأثُّر رورتي باليوتوبيا والخيال عند كلٍّ من شيلنغ وتيليتش وسانتيانا، وانسجاماً مع فلسفته النيو براغماتيّة المتمثّلة برغبته في ضبط الدين أولاً، وإحالة مجمل الأفكار الفلسفيّة لخدمة المجتمع الليبراليّ في عالمنا الواقعيّ ثانياً، احتلّت قضيّة الذّات الليبراليّة التهكميّة موقعاً هاماً في فلسفته.

- خلق الذّات الليبراليّة التهكميّة:

إنّ المعنى الشائع لليبراليّة يضعنا بين فضائين متوازيين: الأوّل الفرديّة و الثاني الحريّة، و إذا أوغلنا التفكير في معنى الأولى، نجد أنّها تتوافق مع ما قاله رورتي و اصطلح على تسميته بـSelf–Creation أي (خلق الذّات)، فقد تردّد على لسانه أنّنا نحن من نعيد صناعة أنفسنا باستمرار، أمّا الثاني فهو مرتبط بحقوق الفرد و حمايتها، و إنّ الانسجام بين هذين الفضائين يجعل الأفراد قادرين بإرادتهم وأفكارهم المتجدّدة على صناعة أنفسهم وقوانينهم ومؤسّساتهم، وبما يتناسب مع رغباتهم وحاجاتهم وحقوقهم في اختيار حياتهم والطريقة التّي يعيشون بها.

و إنّ إعادة خلق ذواتنا بشكلٍ مستمرّ، تشبه إعادة قراءة أيّ نصّ، فمع كلّ قراءة تتشكّل لدينا تأويلاتٌ جديدةٌ، وبذلك تكون عملية تطوير ذواتنا وإعادة انتاجها بمثابة إشارةٍ واضحةٍ على تطبيق آليّاتٍ هرمونطيقيّةٍ على الذّات نفسها، ومن ثمّ تصبح عملية خلق ذواتنا إلى جانب حريّتها دليلاً هرمونطيقيّاً على اتّصاف الليبراليّة عند رورتي بالطابع التهكميّ، بعد إحياء إرث الليبراليّة الديويّة، حيث *تزودنا الهرمونطيقا بالمعايير الداخليّة للقراءة والاصغاء، معايير تتسّع من خلف الحاجة من أجل الاتساق والاكتمال في تفسيرات الفرد، فقد استبدل رورتي الدوغمائيّة بالهرمونطيقا، والفلسفة الميتافيزيقيّة بأخرى ما بعد ميتافيزيقيّة، والنتائج التّي توصّل لها رورتي ليست ديمقراطيّة أو ليبراليّة فحسب، بل هي وليدة حالة التعدديّة ما بعد الحداثويّة، وهي حالة التعدديّة الثقافيّة Multi–culturalism، فالهرمونطيقا تزودنا بأرضيّات النقد ومن ثمّ بإمكانات التطور التدريجي، وتُعزّز في داخلنا نزعة إبقاء باب النقد مفتوحاً أمام أنفسنا*[1].

وعلى ضوء هذه المقاربة تتضّح ملامح هذا الدليل، أي من خلال النتائج الموسومة التّي طمح إليها رورتي في المجتمع الليبراليّ، وبهذا تتمحور الجدّة في طرح رورتي الليبراليّ عبر توجيه كلّ الآليّات والاستراتيجيّات الهرمونطيقيّة لمحاولة إنجاح وتحقيق الصلة البراغماتيّة المشروعة بين الليبراليّة والتهكميّة، وتصبح الصيغة التهكميّة بمثابة الآليّة الليبراليّة التّي يتحرّك رورتي من خلالها ضمن نطاق الحقل الاجتماعي الذّي يتضمّن ذواتاً ليبراليّةً تهكميّةً. فما هي صفات الذّات الليبراليّة التهكميّة؟

لقد تأثّر رورتي بروح العصر ما بعد الحداثيّ، الذّي تطورت فيه أفكاره في ظلّ الفلسفات العدميّة والتفكيكيّة، فاهتمّ بوضع الليبراليّ المعاصر، وحاول تحريره من سجن النظريّات الليبراليّة المتزمتّة ذات الرؤية الواحدة، التّي تنظر إلى الليبراليّة من منظور ضيّق، لا يتعدّى البحث عن الحريّة المفقودة، وإنّ هوس البحث عن الحريّة جعلها بحدّ ذاتها مُقدسّة ولا طائل منها.

ولن نغفل الإشارة إلى أنّ الذّات الليبراليّة التهكميّة المتجددّة، ذاتٌ يقودها الشكّ نحو تحطيم المبادئ الثابتة في حياتنا، إذ يقول رورتي:" التهكميّ راديكاليّ ولديه شكوك في المفردات النهائيّة "[2].

إنّ الذّات الليبراليّة التهكميّة التّي تعيد انتاج نفسها باستمرار، تدرك تماماً من منظور رورتي أنّ المعتقدات الدينيّة والفلسفات الماهويّة والكونيّة، وحتّى السياسات المعاصرة تحتاج إلى المزيد من القراءة والإصلاح بشكل دائم، وبات من المهمّ أن يُعقّب المرء على ما تركه أسلافه، فالذّات الرورتيّة التهكميّة لا تعترف بالمفردات النهائيّة final words، وترفض أن تُختزل الفلسفات والسياسات وحتّى الأديان بكلمة واحدة.

بمعنى آخر، لا يمكننا أن نختصر الدين المسيحي مثلاً من خلال شخصيّة يسوع، أو فلسفة هيجل بكلمة الروح، أو فلسفة هايدغر بالدازاين (الكائن المتعيّن في العالم)، لأنّ مثل هذه الكلمات رُبّما تجعل هذه الفلسفات منغلقة على ذاتها ومحدودةً

[1] **CHARLES Guignon، DAVID R. Hiley, *Richard Rorty, contemporary philosophy*, Focus,Cambridge،P 117.**
[2] **RICHARDRorty،*Contingency, Irony, and Solidarity*, Cambridge university press, New York, 1989, p 73.**

أيضاً، كما أنّها تقفل في وجوهنا باب التأويلات الهرمونطيقيّة. ولن تفلت السياسة الليبراليّة من مطرقة رورتي التهكميّة، فهي تحتاج إلى إصلاح ذاتها باستمرار عبر استخدام آليّات شكيّة تهكميّة، من شأنها أن تتلاعب وتدمّر كيفما تشاء المبادئ التقليديّة لليبراليّة، فليس من المقبول أن تُختزل الليبراليّة بكلمة واحدة (الحرية)، فلا قيمة للحريّة ولا نفع لها دون تهيئة المجتمع الأمريكي لفكرة الذّات المتجددة، فالحرية بدون ذات هي حرية جوفاء لا معنى لها، ويذكرنا رورتي مرةً أخرى أنّ هذه الذّات المنشودة هي الذّات الشعريّة الخياليّة.

وهنا نتساءل: كيف يمكن الحديث عن ذات مبدعة وحرّة، ذاتاً تهكميّةً ليبراليّةً وبنفس الوقت تنتمي إلى مجتمع له ضوابط وقواعد محددّة؟

- جدليّة الخاصّ والعام:

يقول فاتيمو*: " إنّ التمييز بين الخاص والعام عند رورتي مهمٌّ جدّاً بالنسبة للسياسة الديمقراطيّة، فهما ليسا من جوهر واحد، يجب أن تكون مشكلة وتصوّر على أنهمّا حدود غير مستقرّة وباستمرار التعدّي عليها، مع تحقيق الاستقلال الذّاتي الشخصي للأهداف العامّة وتسييس القطاع الخاص "[1].

يبدو جليّاً من هذا القول أنّ رورتي يُفرّق بين المجال الخاصّ، وهو فضاءٌ واسعٌ لخلق الذّات الاستقلاليّة، والمجال العامّ الذّي يمارس فيه الفرد التضامن مع الآخر، إذ يقترح نموذجاً مثاليّاً قائماً على بناء ذات متجددة تُحقّق استقلاليّة ولكنّها مبدعة أيضاً، وبنفس الوقت منفتحة على الآخر، هي شخصيّة المتهكّم الليبرالي، والهدف من تحقيق هذا التوازن بين المجالات المتاحة هو السعادة الانسانيّة، والخلاص من القسوة التّي لحقت بالإنسان منذ لحظة الخطيئة الأولى.

وانطلاقاً من مضمون الفكر النيو براغماتيّ الرورتيّ، الذّي يدور في أفق الذّات الليبراليّة و تضخيمها أولاً، و إعلاء قيمة استقلال الفرد من أي سلطة ثانياً، لم يشهد الفرد مع رورتي ذلك الانصهار الهيجلي في بوتقة الدولة، وإنّما عاش في ظلّ نظام ليبراليّ بعيداً عن القسوة وقائماً على الحريّات والمساواة في الحقوق، يحترم استقلاليّة الآخر، وينظر إلى الحريّة بوصفها قاعدة اجتماعيّة، إذ " يربط رورتي الليبراليّة بأقصى درجة من التباين الفردي، ويعتقد أنّ أقصى درجة تتحقّق بتوافق الآراء، حيث لا يوجد مصدر للسلطة بخلاف الاتفاق الحرّ بين البشر "[2].

وتبقى الحرية عند رورتي مضبوطة بالتضامن الاجتماعيّ القائم على أساس اتحاد الافراد وتعاطفهم، وذلك من خلال التركيز على دور الأنا المتضامنة مع الآخر في ظلّ المجتمع الليبراليّ، الذّي ضخّم من دور الذّات ومنحها سلطة قيادة نفسها، وعلى أساس العلاقة الجدليّة بين الوعي الفرديّ (الخاص) والوعي الجمعي (العام) انقلب محور الوجود في هذا العالم من التمركز الذّاتي (الكوجيتو الديكارتي) أنا أفكر إذاً أنا موجود، إلى التمركز البين ذاتي المشترك، أنا أتضامن إذاً أنا موجود، والمجتمع الليبراليّ الذّي نحن بصدد إصلاحه وإعادة بناءه هو المجتمع المحادثاتي القائم على الحوار بين الأنا والآخر، وليس مجتمعاً يُكرّس القبول بسياسة العقائد الجاهزة ولا حتّى بفلسفات ذات مفردات نهائيّة، هو مجتمعٌ براغماتيٌ ينبذُ إمكانيّة قبول أشكالٍ مسبقة الصنع، ويحاول أن يخلق دائماً تفسيراً جديداً وعلى طريقته.

خلاصة:

لقد استطاع رورتي أن يُقدِّم تجديداً واضحاً، ويحاول أن يعيد من خلاله تشكيل المجتمع الليبراليّ، ارتكز فيه على نزعته التهكميّة، مبيناً أهميّة اليوتوبيا والذّات الشعريّة الخياليّة، ومؤكداً ضرورة بناء ذات متجددّة مبدعة، وقادرة على تخطّي اليقينيّات المطلقة والعقائد الثابتة.

***جياني فاتيمو فيلسوف إيطالي اشتغل باللغة، من فلاسفة ما بعد الحداثة وله الكثير من الأعمال المشتركة مع ريتشارد رورتي.**

[1] GIANNIVattimo, *An ethics for today, Richard Rorty*, p 12 .

[2] CHARLES Guignon، DAVID R. Hiley, *Richard Rorty, contemporary philosophy* ،P 116 .

وقد اهتمّ رورتي بالعلاقة التّي تربط بين الليبراليّة والتهكميّة، فهي علاقة براغماتيّة مبنيّة على أساس تحقيق غاية نبيلة وهي السعادة الانسانيّة.

أحرز رورتي برأينا قفزةً براغماتيّةً جريئةً في مفهوم الليبراليّة، بالانطلاق من منهجه النيو براغماتي الهرمونطيقي أيضاً، محاولاً أن يُؤسِّس لصورة المجتمع الليبراليّ القائم على المحادثة بين الأنا والآخر، وتتبلور هذه العلاقة من خلال الوعي البراغماتيّ بأهميّة إيصال الأفراد للسعادة الحقيقيّة البعيدة عن المعاناة (الصادقة براغماتيّاً) في عالمنا الواقعي المرئي، وليس في عوالم أخرى غريبة عنّا وغير مرئيّة بالنسبة لنا.

المراجع باللغة العربيّة:

1- بالانديه، جورج، *في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين*، ترجمة، محمد حسن إبراهيم، منشورات دار الثقافة، الجمهوريّة العربيّة السوريّة، دمشق، 2000، ص 222.

المراجع باللغة الانكليزيّة:

1- Allan Malachowski, *Richard Rorty, philosophy Now*, Published by acumen2002 ،

2- CHRLES Guignon, DAVID R. Hiley, Richard Rorty, *Contemporaryphilosophy*, Focus, Cambridge, published by Daniel Dennett2003

3- GIANNI Vattimo, *An ethics for today, Richard Rorty*, Columbia university press, Newyork,2008

4- *HowRichardRortyfoundreligion* ،JasonBoffetti

5- <<https://www.firstthings.com/article/05/2004/How-Richard-Rorty-Found-religion،p . 8

6- RICHARD Rorty،*Contingency, Irony, and Solidarity*, Cambridge university press, New York, 1989.

References:

[1] Farha, Mohammad. *The critique of Realism east and west Vaishesika and Husserl,* university of Delhi, Delhi, 2005.

[2] Farha, Mohammad. Objectivity from a Phenomenological Point of View: An Analytical Study, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014.

[3] Farha, Mohammad. The Phenomenological Concept of Husserl's Theory of Intentionality, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (1) 2009.

[4] Farha, Mohammad. George Santyana's Materialism, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (6) 2014.

[5] Farha, Mohammad. The Ontology: Origin, Development and Maturity, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (4) 2010.

[6] Farha, Mohammad, Batol, Mohammad. The Ontology: Origin, Development and Maturity, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015.

[7] Farha, Mohammad, Batol, Mohammad. Inter subjectivity and It's Importance of Merleau-Ponty, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017.

[8] Farha, Mohammad. *Metaphysics of presence with Husserl*, Tishreen university Journal for research and scientific studies, Arts and Humanities series vol 38, 2016.